

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثالثة

عبد الله بن مسعود

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، نستلهم فيها الدروس والعبر من تلك المواقف الإيمانية ، والصفات الحميدة لسلفنا من الشباب .

نعيش في هذه الحلقة مع طرف من حياة الفتى عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي . الذي عرف الإسلام، وشهد شهادة الحق في نعومة أظفاره ، وعاش زهرة شبابه بصحبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فقد سبق إلى الإسلام وهو شاب، فكان سادس أهل الأرض إسلاماً كما يقول: رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا (١).

يروى لنا ابن مسعود (رضي الله عنه) كيفية إسلامه ودخوله في هذا الدين ، فيقول : كنت غلاماً يافعا أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ... فقالا يا غلام هل عندك من لبن تسقينا فقلت إني مؤتمن ولست سائكما فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيتهما بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح الضرع ودعا فحفل الضرع ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقكرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع اقلص فقلص قال

(١) ابن حجر في الإصابة ٣٦٩/٢.

فأتيته بعد ذلك فقلت علمني من هذا القول قال إنك غلام معلم فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد. [ابن سعد ، الطبقات الكبرى] .

هكذا هو الشاب الذكي كلما سنحت له فرصة لمعرفة الحق واتباعه اغتمها، بل يبذل جهده في البحث عن الحق لمعرفة والعمل به .

وبعد إسلام ذلك الفتى ناله ما ناله من الابتلاء مع غيره من المسلمين الأوائل ، ولقد هاجر إلى الحبشة، فراراً بدينه، وطلباً للسلامة من أذى أهل مكة للذين أجابوا دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وكان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن في مكة^(٢). ولقد أودى في ذلك ولكن هذا الإيذاء لم يزد إلا ثباتاً على إيمانه.

يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط. فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود أنا، قالوا إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة، يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها فقام عند المقام ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً صوته: { الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ } ثم استقبلها يقرأ فيها. قال: وتأملوا، فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا في وجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئت لأغادينهم بمثلها. قالوا: حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون^(٣).

(٢) ابن هشام في السيرة ٣١٤/١ وابن حجر في الإصابة ٣٦٩/٢. والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" ٨٣٧/٢. وابن هشام في "السيرة" ٣١٥/١ وابن الأثير في أسد الغابة (٢٥٧/٣).

هاجر ابن مسعود (رضي الله عنه) إلى المدينة ، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي (صلى الله عليه وسلم) ملازمة شديدة يأخذ عنه هديه، حتى أصبح من أكثر الصحابة ملازمة لهدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما أخبر بذلك عبدالرحمن بن يزيد قَالَ أَتَيْنَا عَلَى حُدَيْفَةَ فَقُلْنَا حَدِّثْنَا، مَنْ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيًّا وَدَلًّا فَنَأْخُذَ عَنْهُ وَنَسْمَعَ مِنْهُ، قَالَ : «كَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ هَدِيًّا وَدَلًّا وَسَمَّيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ مَسْعُودٍ حَتَّى يَتَوَارَى مِنَّا فِي بَيْتِهِ وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدِ هُوَ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» أخرجه الترمذي و قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، ومما ينبغي أن نعلمه من حياة الشاب عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جعله إماماً في القراءة وقت شبابه، وأرشد الصحابة (رضي الله عنهم) أن يقرؤا القرآن على قراءته ، فعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ فَقَامَ فَسَمِعَ قِرَاءَتَهُ ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَجَدَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلْ تُعْطَهُ سَلْ تُعْطَهُ قَالَ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ فَأَذْجْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَلَمَّا ضَرَبْتُ الْبَابَ أَوْ قَالَ لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي قَالَ مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ قُلْتُ جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ إِنْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُ سَبَاقٌ بِالْخَيْرَاتِ مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقْنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ [أخرجه الإمام أحمد] .

كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستمع لقراءته ، وقد طلب منه مرة أن يقرأ عليه القرآن، وهذا شرف عظيم لهذا الشاب أن يطلب منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يقرأ عليه القرآن، يقول ابن مسعود (رضي الله عنه) في ذلك : قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا) قَالَ حَسْبُكَ الْآنَ فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ . [أخرجه البخاري].

شباب الإسلام هذا طرف من حياة أحد أسلافكم من شباب صدر الإسلام ، إنه عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) . الذي عرف طريق النور في أول شبابه ، واجتهد بعد ذلك في طاعة الله ، والدعوة إليه ، وملازمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخدمته ، وتعلم هديه والأخذ عنه، حتى أصبح على درجة عالية من الإتقان لهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعرف ذلك عنه ، وأصبح الناس يأخون عنه لمعرفةهم مدى التزامه لهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ونحن اليوم معشر الشباب مطالبون بمعرفة هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهدي صحابته الكرام ، للسير هلى نهجهم واقتفاء أثرهم، وإن كنا لم ندرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم نر أفعاله أو نسمع منه أقواله ، فإنه من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا أن يسر لنا من حفظ لنا لنا تلك الأقوال والأعمال مع طول السنين وبعد الزمن ، فهي الآن مسطورة بين أيدينا سهلة المتناول لمن أراد معرفتها. فالله ، الله يا شباب الإسلام، بمعرفة هدي نبي الكريم ، وشباب صدر الإسلام من صحابته الكرام ، والعلم بذلك ، لنيل السعادة في الدنيا ، والفلاح في الآخرة .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، للحديث بقية إن شاء الله ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودينانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.